# ٣ ـ أزواج عثمان بن عفان ﷺ

**ثالث الخلفاء الراشدين**، وأحد الأعمدة الأربعة للدين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد رجال الشورى الستة، الذين ترك لهم «عمر» ﷺ اختيار خلف له، فاختاروا «عثمان» ﷺ فكيف فاز بالخلافة دون الخمسة الآخرين؟

لقد أخرج «أبو جعفر الطبري» في تاريخه حديث الشُورى، فقال: حدثني عمرو بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، عن وكيع، عن الأعمش، عن إبراهيم، ومحمد بن عبد الله الأنصاري، عن ابن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشب، وأبي مخنف، عن يوسف بن يزيد، عن عباس بن سهل، ومبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، ويوسف أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون الأودي؛ أن «عمر بن الخطاب» لما طُعِنَ قيل له: يا أمير المؤمنين! لو استخلفت!

قال: من أستخلف؟ لو كان «أبو عبيدة بن الجراح» حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: **«إنه أمين هذه الأمة»**، ولو كان «سالم» مولى «أبي حذيفة» حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: **«إن سالماً شديد الحب لله»**، فقال له رجل: أدلك عليه؟ «عبد الله بن عمر»، فقال: قاتلك الله، والله! ما أردتَ اللهَ بهذا، ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا أرب لنا في أموركم، ما حَمِدْتُها فأرغبَ فيها لأحد من أهل بيتي؛ إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فبحَسْبِ آل عمر أن يحاسَب منهم رجل واحد، ويُسْأل عن امرأته «محمد»، أما لقد جهدت نفسي، وحرمت أهلي، وإن نجوتُ كَفَافاً لا وِزْرَ ولا أجر إني لسعيد؛ وأنظر فإن استخلفتُ فقد استخلَفَ مَنْ هو خير مني، وإن أترك فقد ترك مَنْ هو خير مني، ولن يضيع الله دينه.

فخرجوا ثم راحوا، فقالوا: يا أمير المؤمنين! لو عهدت عهداً! فقال: قد كنتُ أجمعتُ بعد مقالتي لكم أن أنظر فأولّيَ رجلاً أمْرَكُم؛ هو أجراكم أن يحملكم على الحق ـ وأشار إلى «عليٍّ» ـ ورَهِقَتْني غَشْية، فرأيت رجلاً دخل جنة قد غرسها، فجعل يقطف كلّ غضَّةٍ ويانعةٍ فيضمُّه إليه ويصيِّره تحته؛ فعلمت أن الله غالب أمره، ومُتَوَفٌّ «عمر»؛ فما أريد أن أتحمَّلَها حياً وميتاً.

عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله ﷺ: «**إنهم من أهل الجنة**»؛ وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل منهم؛ ولست مدخله؛ ولكن الستة: «علي» و«عثمان» ابنا عبد مناف، و«عبد الرحمٰن» و«سعد» خالا رسول الله ﷺ، و«الزبير بن العوام» حواريُّ رسول الله ﷺ وابن عمته، و«طلحة الخير بن عبيد الله»؛ فليختاروا منهم رجلاً، فإذا ولَّوْا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه، إن ائتمن أحداً منكم فَلْيُؤَدِّ إليه أمانته، وخرجوا.

فقال «العباس» لعلي: لا تدخل معهم، قال: أكره الخلاف، قال: إذاً ترى ما تكره!

فلما أصبح «عمر» دعا «علياً» و«عثمان» و«سعداً» و«عبد الرحمٰن بن عوف» و«الزبير بن العوام» فقال: إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم؛ ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قُبِضَ رسول الله ﷺ تعالى وهو عنكم راضٍ، إني لا أخاف الناسَ عليكم إن استقمتم، ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم، فيختلف الناس، فانهضوا إلى حجرة «عائشة» بإذن منها، فتشاوروا واختاروا رجلاً منكم، ثم قال: لا تدخلوا حجرة «عائشة» ولكن كونوا قريباً منها، ووضع رأسه وقد نزفه الدم.

فدخلوا فتناجوا، ثم ارتفعت أصواتهم، فقال «عبد الله بن عمر»: سبحان الله! إن أمير المؤمنين لم يمت بعد، فأسمَعه فانتبه، فقال: ألا أعرضوا عن هذا أجمعون، فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام، ولْيُصَلِّ بالناس «صهيب»، ولا يأتيَنَّ اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، ويحضر «عبد الله بن عمر» مشيراً، ولا شيء له من الأمر، و«طلحة» شريككم في الأمر، فإن قدم في الأيام الثلاثة فأَحْضِروه أمركم؛ وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا أمركم، ومن لي بطلحة؟

فقال «سعد بن أبي وقاص»: أنا لك به؛ ولا يخالف إن شاء الله، فقال «عمر»: أرجو ألَّا يخالف، إن شاء الله؛ وما أظن أن يليَ إلا أحد هذين الرجلين: «علي» أو «عثمان»؛ فإن ولي «عثمان» فرجل فيه لين، وإن ولي «عليٌّ» ففيه دُعابة، وأَحَرِ به أن يحملهم على طريق الحق، وإن تُوَلُّوا «سعداً» فأهلها هو؛ وإلَّا فليستعِن به الوالي، فإنه لم أعزله عن خيانة ولا ضعف، ونعم ذو الرأي «عبد الرحمٰن بن عوف»! مسدَّد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة! إن الله ﷻ طالما أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستَحِثَّ هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم.

وقال لصهيب: صَلِّ بالناس ثلاثة أيام، وأدخل «علياً» و«عثمان» و«الزبير» و«سعداً» و«عبد الرحمٰن بن عوف» و«طلحة» إن قَدِم؛ وأحضِرْ «عبد الله بن عمر» ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضُوا رجلاً وأبى واحد فاشْدَخْ رأسه ـ أو اضرب رأسه بالسيف ـ وإن اتفق أربعة فرضُوا رجلاً منهم وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم وثلاثةٌ رجلاً منهم، فحكِّموا «عبد الله بن عمر»؛ فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم؛ فإن لم يرضَوْا بحكم «عبد الله بن عمر»، فكونوا مع الذين فيهم «عبد الرحمٰن بن عوف» واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس.

فخرجوا، فقال «عليٌّ» لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومَكم لم تؤمروا أبداً، وتلقاه «العباس» فقال: عدلت عنَّا! فقال: وما علمك؟ قال: قُرِن بي «عثمان» وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً، ورجلان رجلاً فكونوا مع الذين فيهم «عبد الرحمٰن بن عوف»؛ فسعد لا يخالف ابن عمه «عبد الرحمٰن» و«عبد الرحمٰن» صهر «عثمان»؛ لا يختلفون، فيوليها «عبد الرحمٰن»، «عثمان» أو يوليها «عثمان»، «عبد الرحمٰن»؛ فلو كان الآخران معي لم ينفعاني، بَلْهَ إني لا أرجو إلَّا أحدها، فقال له «العباس»: لم أرفعك في شيء إلا رجعتَ إليَّ مستأخراً بما أكره، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله ﷺ أن

تسأله فيمن هذا الأمر؛ فأبيتَ، وأشرتُ عليك بعد وفاته أن تُعاجل الأمر فأبيتَ، وأشرتُ عليك حين سمَّاك «عمر» في الشورى أَلَّا تدخل معهم فأبيتَ، احفظ عني واحدة؛ كلما عرض عليك القوم، فقل: لا، إلَّا أن يولُّوك، واحذر هؤلاء الرهط، فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا، وايم الله! لا يناله إلَّا بشَرٌّ لا ينفع معه خير.

فقال «علي»: أما لئن بقي «عثمان» لأُذَكِّرَنَّهُ ما أتى، ولئن مات لَيَتَدَاوَلُنَّهَا بينهم، ولئن فعلوا ليجدُنِّي حيث يكرهون، ثم تمثَّل:

حلفت بربِّ الراقصاتِ عَشِيَّةً ... ندوم خفافاً فابتدرن المُحَصَّبا
لَيَخْتَلِيَنْ رهط ابن يَعْمُرَ مارئاً ... نجيعاً بنو الشُّدَّاخ وِرْداً مُصَلَّباً

والتفت فرأى «أبا طلحة» فكره مكانه، فقال «أبو طلحة»: لم تُرَعْ «أبا الحسن»، فلما مات «عمر» وأخرجت جنازته، تصدَّى «عليٌّ» و«عثمان» أيهما يصلي عليه، فقال «عبد الرحمٰن»: كلاكما يحب الإمرة، لستما من هذا في شيء، هذا إلى «صهيب»، استخلفه «عمر»، يصلي بالناس ثلاثاً حتى يجتمع الناس على إمام، فصلى عليه «صهيب».

فلما دفن «عمر» جمع «المقداد» أهل الشورى في بيت «المِسْوَرِ بن مَخْرَمة» ـ ويقال: في بيت المال، ويقال: في حجرة «عائشة» بإذنها ـ وهم خمسة، معهم «ابن عمر»، و«طلحة» غائب؛ وأمروا «أبا طلحة» أن يحجبهم، وجاء «عمرو بن العاص» و«المغيرة بن شعبة» فجلسا بالباب، فحصبهما «سعد» وأقامهما، وقال: تريدان أن تقولا: حضرنا وكنا في أهل الشورى!

فتنافس القوم في الأمر؛ وكثر بينهم الكلام؛ فقال «أبو طلحة»: أنا كنتُ لأنْ تدفعوها أخوفَ مني لأنَ تنافسوها! لا والذي ذهب بنفس «عمر!» لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمرتم، ثم أجلس في بيتي؛ فأنظر ما تصنعون!

فقال «عبد الرحمٰن»: أيكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد، فقال: فأنا أنخلع منها؛ فقال «عثمان»: أنا أول من رضي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أمين في الأرض، أمين في السماء**».

فقال القوم: قد رضينا ـ و«عليٌّ» ساكتٌ ـ فقال: ما تقول يا أبا الحسن!؟

قال: أعطني موثقاً لتؤثِرَنَّ الحق ولا تتَّبع الهوى، ولا تخص ذا رحم، ولا تألُ الأمة! فقال: أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على مَنْ بدَّل وغيَّر، وأن ترضَوْا مَنِ اخترت لكم، عليَّ ميثاق الله أَلَّا أخصَّ ذا رَحِم لِرَحِمِهِ، ولا آلو المسلمين، فأخذ منهم ميثاقاً وأعطاهم مثله، فقال لعلي: إنكَ تقول: إني أحق من حضر بالأمر لقرابتك وسابقتك، وحسن أثرك في الدين، ولم تبعُد، ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر، من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بالأمر؟ قال: «عثمان»، وخلا بعثمان؛ فقال: تقول: شيخ من بني عبد مناف، وصهر رسول الله ﷺ وابن عمه، لي سابقة وفضل، لم تبعُد، فلن يصرف هذا الأمر عني، ولكن لو لم تحضر، فأي هؤلاء الرهط تراه أحق به؟ قال: «علي». ثم خلا بالزبير، فكلمه بمثل ما كلم به «علياً» و«عثمان»؛ فقال: «عثمان»، ثم خلا بسعد، فكلمه، فقال: «عثمان»، فلقي «علي» «سعداً» فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء، الآية: ١] ، أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرحم عمي «حمزة» منك ألَّا تكون مع «عبد الرحمٰن» لعثمان ظهيراً عليَّ، فإني أدلي بما لا يدلي به «عثمان».

ودار «عبد الرحمٰن» لياليه يلقى أصحاب رسول الله ﷺ، ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس، يشاورهم، ولا يخلو برجل إلَّا أمره بعثمان؛ حتى إذا كانت الليلة التي يُسْتَكْمَلُ في صبيحتها الأجل، أتى منزل «المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ» بعد ابهيرارٍ ـ أي طلوع نجومه إذا تتامَّت واستنارت ـ من الليل، فأيقظه، فقال: ألا أراك نائماً ولم أذق في هذه الليلة كثير غُمْض! انطلق فادع «الزبير» و«سعداً» فدعاهما، فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد في الصُّفَّة التي تلي دار «مروان» فقال له: خَلِّ ابني عبد مناف وهذا الأمر، قال: نصيبي لعلي، وقال لسعد: أنا وأنت كلالة، فاجعل نصيبك لي فأختار، قال: إن اخترت نفسكِ فنعم وإن اخترت «عثمان» فعليٌّ أحب إليَّ، أيها الرجل! بايع لنفسك وأَرِحْنا، وارفع رؤوسنا.

قال: يا أبا إسحاق! إني قد خلعت نفسي منها على أن أختار، ولو لم أفعل وجُعِلَ الخيار إليَّ لم أُرِدْها، إني أريت كروضة خضراء كثيرة العشب، فدخل فَحْلٌ فلم أَرَ فحلاً قط أكرمَ منه، فمَرَّ كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في

الروضة حتى قطعها، لم يعرِّج، ودخل بعير يتلوه، فاتبع أثره حتى خرج من الروضة، ثم دخل فَحْلٌ عبقري يجر خطامه، يلتفت يميناً وشمالاً، ويمضي قصد الأولين حتى خرج، ثم دخل بعيرٌ رابعٌ فرتع في الروضة؛ ولا والله! لا أكون الرابع؛ ولا يقوم مقام «أبي بكر» و«عمر» بعدهما أحد فيرضى الناس عنه.

قال «سعد»: فإني أخاف أن يكون الضعف قد أدركك، فامضِ لرأيك؛ فقد عرفت عهد «عمر».

وانصرف «الزبير» و«سعد» وأرسل «المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ» إلى «عليٍّ» فناجاه طويلاً، وهو لا يشك أنه صاحب الأمر، ثم نهض.

وأرسل «المِسْوَر» إلى «عثمان» فكان في نَجِيِّهما؛ حتى فرَّق بينهما أذان الصبح، فقال «عمرو بن ميمون»: قال لي «عبد الله بن عمر»: يا عمرو! من أخبرك أنه يعلم ما كلَّم به «عبد الرحمٰن بن عوف»، «علياً» و«عثمان»، فقد قال بغير علم؛ فوقع قضاء ربك على «عثمان».

فلما صَلَّوُا الصبح جمع الرهط، وبعث إلى مَنْ حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد، فاجتمعوا حتى الْتَجَّ ـ كَثُرَ مَنْ فيه ـ المسجد بأهله، فقال: أيها الناس! إن الناس قد أحبُّوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم، وقد علموا مَنْ أميرهم.

فقال «سعيد بن زيد»: إنا نراك لها أهلاً، فقال: أشيروا عليَّ بغير هذا، فقال «عمار»: إن أردت ألَّا يختلف المسلمون فبايع «علياً».

فقال «المقداد بن الأسود»: صدق «عمار»؛ إن بايعت «علياً» قلنا: سمعنا وأطعنا. قال «ابن أبي سرح»: إن أردت ألَّا تختلف قريش فبايع «عثمان»، فقال: «عبد الله بن أبي ربيعة»: صدق، إن بايعت «عثمان» قلنا: سمعنا وأطعنا، فشتم «عمارٌ»، «ابنَ أبي سرح»، وقال: متى كنت تنصح المسلمين؟.

فتكلم بنو هاشم وبنو أمية، فقال «عمار»: أيها الناس! إن الله ﷻ أكرمنا بنبيِّه، وأعزَّنا بدينه، فأنَّى تَصْرِفُون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم؟

فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يابن سمية! وما أنت قريش لأنفسهما؟

فقال «سعد بن أبي وقاص»: يا عبد الرحمٰن! افرغ قبل أن يفتتن الناس فقال «عبد الرحمٰن»: إني قد نظرت وشاورت، فلا تجعلنّ أيها الرهط على أنفسكم سبيلاً، ودعا «علياً» فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملَنَّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده.

قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ودعا «عثمان» فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم، فبايعه، فقال «علي»: حبوته حَبْوَ دهر؛ ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يُوسُف، الآية: ١٨] ؛ والله! ما وليتَ «عثمان» إلا ليردَّ الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن، فقال «عبد الرحمٰن»: يا علي! لا تجعل على نفسك سبيلاً؛ فإني قد نظرتُ وشاورتُ الناس؛ فإذا هم لا يعدلون بعثمان.

فخرج «عليٌّ» وهو يقول: سيبلغ الكتابُ أجَلَه، فقال المقداد: يا عبد الرحمٰن! أما والله! لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، فقال: يا مقداد، والله لقد اجتهدتُ للمسلمين، قال: إن كنت أردتَ بذلك اللهَ فأثابك اللهُ ثواب المحسنين، فقال المقداد: ما رأيتُ مثل ما أُوتِيَ إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم ﷺ، إني لأعجب من قريش أنهم تركوا رجلاً ما أقول: إن أحداً أعلم ولا أقضى منه بالعدل، أما والله! لو أجد عليه أعواناً! فقال «عبد الرحمٰن»: يا مقداد! اتقِ اللهَ؛ فإني خائف عليك الفتنة.

فقال رجل للمقداد: رحمك الله! مَنْ أهل هذا البيت، ومَنِ الرجل؟ قال: أهل البيت بنو عبد المطلب، والرجل «علي بن أبي طالب».

فقال «عليٌّ»: إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر إلى بيتها، فتقول: إنْ وُلِّيَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم، وقدم «طلحة» في اليوم الذي بويع فيه لعثمان، فقيل له: بايعْ «عثمان»، فقال: أكل قريش راضٍ به؟ قال: نعم، فأتى «عثمان» فقال له «عثمان»: أنت على رأس أمرك، إن أبيتَ رددتُها، قال: أتردُّها؟ قال: نعم، قال: أكل الناس بايعوك؟ قال: نعم، قال: قد رضيتُ، لا أرغب عَمَّا قد أجمعوا عليه، وبايعه.

وقال «المغيرة بن شعبة» لعبد الرحمٰن: يا أبا محمد! قد أصبتَ إذ بايعتَ «عثمان»، وقال لعثمان: لو بايع «عبد الرحمٰن» غيرَك ما رضينا، فقال «عبد الرحمٰن»: كذبتَ يا أعور! لو بايعتُ غيرَه لبايعتَه، ولقلتَ هذه المقالة.
وقال الفرزدق:

صلَّى صهيبٌ ثلاثاً ثم أرسلها ... على ابن عفان ملكاً غيرَ مَقْصُورِ
خلافةً من أبي بكر لصاحبه ... كانوا أخلاءَ مهديٌّ ومأمورِ

وكان «المِسْوَرُ بن مَخْرَمَة» يقول: ما رأيتُ رجلاً بَزَّ قوماً فيما دخلوا فيه بأشدَّ مما بَذَّهم «عبد الرحمٰن بن عوف»[1].

أما رواية «المِسْوَرِ بن مَخْرَمَة» فقال أبو جعفر الطبري: إن الرواية عندنا عنه، ما حدثني سَلْمُ بن جُنَادَة، أبو السائب، قال: حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف، قال: حدثنا أبي، عن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة ـ وكانت أمه «عاتكة بْنَةُ عوف ـ قال: ونزل في قبره ـ يعني في قبر «عمر» ـ الخمسة، يعني: أهل الشورى، قال: ثم خرجوا يريدون بيوتهم، فناداهم «عبد الرحمٰن»: إلى أين؟ هلموا فتبعوه، وخرج حتى دخل بيت «فاطمة بْنَة قيس» الفهرية، أخت «الضحاك بن قيس» الفهري ـ قال بعض أهل العلم: بل كانت زوجته، وكانت نَجُوداً، يريد ذات رأي ـ.

قال: فبدأ عبد الرحمٰن الكلام، فقال: يا هؤلاء! إن عندي رأياً، وإن لكم نظراً، فاسمعوا تعلَّموا، وأجيبوا تفقهوا، فإن حابياً خيرٌ من زاهق ـ الحابي: السهم الذي يزلج على الأرض، ثم يصيب الهدف، والزاهق الذي يجاوز الهدف ـ ، وإن جُرعة من شَرُوب باردٍ أنفع من عَذْب مُوبٍ ـ أي: الماء المِلْح الذي يشرب عند الضرورة أنفع من الماء العذب المورِّث للوباء ـ؛ أنتم أئمة يهتدى بكم، وعلماء يُصْدَر إليكم، فلا تفلُّوا المدَى بالاختلاف بينكم، ولا تغمدوا السيوف عن أعدائكم، فتوتروا ثأركم، وتُؤَلِّبوا ـ تنقصوا ـ أعمالكم؛ لكل

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٣٤).

أجل كتاب، ولكل بيت إمام بأمره يقومون، وبنهيه يَرِعوُن، قلِّدوا أمركم واحداً منكم، تمشوا الهويني، وتلحقوا الطلب، لولا فتنةٌ عمياء، وضلالة حيراء، يقول أهلها ما يرون، وتحلُّهم الحَبَوْكَرَى ـ الداهية ـ، ما عدت نياتكم معرفَتكم، ولا أعمالكم نياتكم، احذروا نصيحة الهوى، ولسان الفُرْقة؛ فإن الحيلة في المنطق، أبلغ من السيوف في الكَلْم، علِّقوا أمركم رَحْبَ الذراع فيما حَلَّ، مأمونَ الغيب فيما نزل، رضاً منكم وكلكم رضاً، ومُقْتَرَعاً منكم وكلكم منتهًى، لا تطيعوا مفسداً يتصح؛ ولا تخالوا مرشداً ينتصر؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم «عثمان بن عفان» فقال: الحمد لله الذي اتخذ «محمداً» ﷺ نبياً، وبعثه رسولاً، صدقه وعده، ووهب له نصره على كل من بَعُدَ نَسباً، أو قرب رَحِماً ﷺ، جعلنا الله له تابعين، وبأمره مهتدين؛ فهو لنا نور؛ ونحن بأمره نقوم عند تفرق الأهواء، ومجادلة الأعداء، جعلنا الله بفضله أئمة، وبطاعته أمراء، لا يخرج أمرنا منا، ولا يدخل علينا غيرنا إلا من سَفِهَ الحقَّ، وَنَكَلَ عن القصد، وأَحْرِ بها يابن عوف! أن تترك، وأحذِرْ بها أن تكون إن خولف أمرك، وترك دعاؤك، فأنا أول مجيبٍ لك، وداعٍ إليك، وكفيل بما أقول زعيم، وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم «الزبير بن العوام» بعده، فقال: أما بعد، فإن داعي الله لا يُجْهَل، ومجيبه لا يُخْذَل، عند تفرق الأهواء، ولَيِّ الأعناق، ولن يقصِّر عما قلت إلَّا غَوِيٌّ، ولن يترك ما دعوت إليه إلا شقي، لولا حدود لله فرضت، وفرائض لله حُدَّت، تراح على أهلها؛ وتحيا لا تموت؛ لكان الموت من الإمارة نجاة، والفرار من الولاية عصمة، ولكن لله علينا إجابة الدعوة، وإظهار السنة، لئلا نموت ميتة عَمِيَّةً؛ ولا نعمى عمى جاهلية، فأنا مجيبك إلى ما دعوت، ومعينك على ما أمرت، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله لي ولكم.

ثم تكلم «سعد بن أبي وقاص» فقال: الحمد لله بدئياً كان، وآخراً يعود، أحمده لما نجاني من الضلالة، وبصَّرني من الغَواية، فبهدى الله فاز مَنْ نَجا، وبرحمته أفلح مَنْ زَكا، وبمحمد بن عبد الله ﷺ أنارت الطرق، واستقامت السبل، وظهر كل حق، ومات كل باطل، إياكم أيها النفر! وقول الزور، وأمنية أهل الغرور! فقد سلبت الأماني قوماً قبلكم، ورثوا ما ورثتم، ونالوا ما نلتم،

فاتخذهم الله عدواً، ولعنهم لعناً كبيراً، قال الله ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩] ، إني نكبت قَرني ـ جَعْبَتي، ـ نكب: نثر ما فيها من السهام ـ فأخذت سهمي الفالج، وأخذت لطلحة بن عبيد الله ما ارتضيتُ لنفسي، فأنا به كفيل، وبما أعطيت عنه زعيم، والأمر إليك يا بن عوف! بجهد النفس، وقصد النصح، وعلى الله قصد السبيل، وإليه الرجوع، وأستغفر الله لي ولكم، وأعوذ بالله من مخالفتكم.

ثم تكلم «علي بن أبي طالب» رضي الله تعالى عنه، فقال: الحمد لله الذي بعث «محمداً» ﷺ منا نبياً، وبعثه إلينا رسولاً، فنحن بيت النبوة، ومعدن الحكمة، وأمان أهل الأرض، ونجاة لمن طلب، لنا حق إنْ نعطَه نأخُذْه، وإنْ نُمْنَعْه نركبْ أعجاز الإبل، ولو طال السُّرَى، لو عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً لأنفذنا عهده، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت، لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق وصلة رحم، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، اسمعوا كلامي، وعوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع، تُنْتَضَى فيه السيوف، وتُخَانُ فيه العهود؛ حتى تكونوا جماعة، ويكون بعضكم أَئِمَّةً لأهلِ الضلالة، وشِيعةً لأهل الجهالة، ثم أنشأ يقول:

فإن تكُ جاسمٌ هلكت فإني ... بما فعلت بنو عبد بن ضَخْمِ
مطيعٌ في الهواجر كل عَسيٍّ ... بصيرٌ بالنوى من كل نَجْمِ

فقال «عبد الرحمٰن»: أيكم يطيب نفساً أن يخرج نفسه من هذا الأمر ويولِّيه غيره؟ قال: فأمسكوا عنه، قال: فإني أخرج نفسي وابن عمي، فقلَّده القوم الأمر، وأحلفهم عند المنبر، فحلفوا ليبايعن من بايع، وإن بايع بإحدى يديه الأخرى، فأقام ثلاثاً في داره التي عند المسجد التي يقال لها اليوم: رحبة القضاء ـ وبذلك سميت رحبة القضاء ـ فأقام ثلاثاً يصلي بالناس «صهيب».

قال: وبعث «عبد الرحمٰن» إلى «عليٍّ» فقال له: إن لم أبايعك فأشر عليَّ؛ فقال: «عثمان»، ثم بعث إلى «عثمان»، فقال: إن لم أبايعك، فمن تشير عليَّ؟ قال: «عليٌّ» ثم قال لهما: انصرفها، فدعا «الزبير»، فقال: إن لم أبايعك، فمن

تشير عليَّ، قال: «عثمان»، ثم دعا «سعداً»، فقال: من تشير عليَّ؟ فأما أنا وأنت فلا نريدها، فمن تشير عليَّ؟ قال: «عثمان».

فلما كانت الليلة الثالثة، قال: يا مِسْوَرُ! قلت: لبيك، قال: إنك لنائم؛ والله!ما اكتحلتُ بِغَمَاضٍ منذ ثلاث، اذهب فادعُ لي «علياً» و«عثمان»، قال: قلت: يا خال! بأيهما أبدأ؟ قال: بأيهما شئت.

قال: فخرجتُ فأتيتُ «علياً» ـ وكان هواي فيه ـ فقلت: أجب خالي، فقال: بعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم، قال: إلى مَنْ؟ قلت: إلى «عثمان»، قال: فأيُّنا أمرك أن تبدأ به؟ قلت: قد سألته، فقال: بأيهما شئت؟، فبدأتُ بك، وكان هواي فيك.

قال: فخرج معي حتى أتينا المقاعد، فجلس عليها «عليٌّ»، ودخلتُ على «عثمان» فوجدته يُوتِرُ مع الفجر، فقلت: أجب خالي، فقال: بعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم، إلى «عليٍّ»، قال: بأينا أمرك أن تبدأ؟ قلت: سألته فقال: بأيهما شئتَ، وهذا «عليٌّ» على المقاعد.

فخرج معي حتى دخلنا جميعاً على خالي، وهو في القبلة قائم يصلي، فانصرف لمَّا رآنا، ثم التفت إلى «عليٍّ» و«عثمان»، فقال: إني قد سألتُ عنكما، وعن غيركما، فلم أجد الناس يَعْدِلُون بكما، هل أنت يا «علي!» مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل «أبي بكر» و«عمر؟» فقال: اللهم! لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، فالتفت إلى «عثمان» فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل «أبي بكر» و«عمر؟»، قال: اللهم! نعم، فأشار بيده، إلى كتفيه، وقال: إذا شئتما، فنهضنا حتى دخلنا المسجد، وصاح صائح: الصلاة جامعة ـ قال «عثمان»: فتأخَّرْتُ والله! حياءً لما رأيت من إسراعه إلى «عليٍّ»؛ فكنت في آخر المسجد ـ قال: وخرج «عبد الرحمٰن بن عوف» وعليه عمامته التي عمَّمه بها رسول الله ﷺ، متقلداً سيفه، حتى ركب المنبر، فوقف وقوفاً طويلاً، ثم دعا بما لم يسمعه الناس، ثم تكلم، فقال: أيها الناس! إني قد سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما «عليٍّ» وإما «عثمان»: فقم إليَّ يا «علي»!، فقام إليه «عليٌّ»، فوقف تحت المنبر، فأخذ «عبد الرحمٰن» وبيده، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل

«أبي بكر» و«عمر؟»، قال: اللهم! لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي.

قال: فأرسل يده، ثم نادى: قم إلي يا «عثمان!»، فأخذ بيده ـ وهو في موقف «عليٍّ» الذي كان فيه ـ فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفعل «أبي بكر» و«عمر؟» قال: اللهم! نعم.

قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد «عثمان» ثم قال: اللهم! اسمع واشهد؛ اللهم! إني قد جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة «عثمان»، قال: وازدحم الناس يبايعون «عثمان» حتى غَشُوه عند المنبر، فقعد «عبد الرحمٰن» مقعد النبي ﷺ من المنبر، وأقعد «عثمان» على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه، وتَلَكَّأَ «عليٌّ»، فقال «عبد الرحمٰن»: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح، الآية: ١٠]، فرجع «عليٌّ» يشقُّ الناس؛ حتى بايع وهو يقول: خَدْعَة وأيَّما خَدْعَة!

قال عبد العزيز: وإنما سبب قول «عليٍّ» (خَدْعة)، أن «عمرو بن العاص» كان قد لقي «علياً» في ليالي الشورى، فقال: إن «عبد الرحمٰن» رجل مجتهد، وإنه متى أعطيته العزيمة كان أزهدَ له فيك؛ ولكن الجهد والطاقة، فإنه أرغب له فيك، قال: ثم لقي «عثمان»، فقال: إن «عبد الرحمٰن» رجل مجتهد، وليس والله! يبايعك إلَّا بالعزيمة، فاقبَلْ؛ فلذلك قال «عليٌّ»: خَدْعة.

قال: ثم انصرف بعثمان إلى بيت «فاطمة بنت قيس» فجلس والناس معه، فقام «المغيرة بن شعبة» خطيباً، فقال: يا أبا محمد! الحمد لله الذي وفقك، والله! ما كان لها غيرُ «عثمان» ـ وعليٌّ جالس ـ فقال «عبد الرحمٰن»: يابن الدَّباغ! ما أنت وذاك! والله! ما كنتُ أبايع أحداً إلَّا قلتَ فيه هذه المقالة.

قال: ثم جلس «عثمان» في جانب المسجد، ودعا بعبيد الله بن عمر، وكان محبوساً في دار «سعد بن أبي وقاص»، وهو الذي نزع السيف من يده بعد قتله «جفينة» و«الهرمزان» و«ابنة أبي لؤلؤة»، وكان يقول: والله! لأقتلنَّ رجالاً ممن شَرِكَ في دم أبي ـ يُعَرِّض بالمهاجرين والأنصار ـ فقام إليه «سعد»، فنزع السيف من يده، وجذب شعره حتى أضجعه إلى الأرض، وحبسه في داره حتى أخرجه «عثمان» إليه، فقال «عثمان» لجماعة من المهاجرين والأنصار: أشيروا عليَّ في هذا الذي فَتَق في الإسلام ما فَتَق، فقال «عليٌّ»: أرى أن تقتله، فقال

بعض المهاجرين: قُتِلَ أمسِ «عمر» ويقتل ابنه اليوم! فقال «عمرو بن العاص»: يا أمير المؤمنين! إن الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان، ولك على المسلمين سلطان، إنما كان هذا الحدث ولا سلطان لك، قال «عثمان»: أنا وليهم، وقد جعلتها دِيَة، واحتملتها في مالي.

قال: وكان رجل من الأنصار يقال له: «زياد بن لبيد» البياضي، إذا رأى «عبيد الله بن عمر»، قال:

ألا يا عبيد الله مالك مهربٌ ... ولا ملجأٌ من ابن أروى ولا خَفَرْ
أصبتَ دماً والله في غير حله ... حراماً وقتلِ الهُرْمُزانِ له خَطَرْ
على غيرِ شيء غيْرَ أن قال قائلٌ ... أتتهمون الهُرْمُزان على عُمَرْ
فقال سفيه والحوادث جَمَّةٌ ... نعم إتَّهِمْه قد أشار وقد أمَرْ
وكان سلاح العبد في جوف بيته ... يقلِّبها والأمرُ بالأمر يُعْتَبَرْ

قال: فشكا «عبيد الله بن عمر» إلى «عثمان»، «زياد بن لبيد» وشعره، فدعا «عثمان»، «زياد بن لبيد» فنهاه، فأنشأ «زياد» يقول في «عثمان»:

أبا عمرو عبيد اللهَ رَهْنٌ ... فلا تشكك بقتل الهُرْمُزان
فإنك إن غفرتَ الجرمَ عنه ... وأسباب الخَطَا فرسا رهانِ
أتعفو إن غفوت بغير حق ... فما لك بالذي تحكي يَدانِ

فدعا «عثمان»، «زياد بن لبيد» فنهاه، وشذَّبه[1] ـ أي: طرده ـ.

وذكر «السيوطي» في «تاريخ الخلفاء» نسب «عثمان» فقال: «عثمان بن عفان بن أبي العاص بن بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب» القرشي، الأموي، المكي، ثم المدني، «أبو عمرو» ويقال: «أبو عبد الله» و«أبو ليلى»[2]، وكان إسلامه على يد «أبي بكر الصديق» مبكراً [2]، وأمه تدعى «أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس العبشميّة، كما ذكر «ابن حَجَر» في الإصابة[3].

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٤٠).
(٢) تاريخ الخلفاء، ص: (١٣٤).
(٣) الإصابة (٤/ ٢٤١٣).

وذكر «ابن جرير الطبري» في تاريخه أولاد «عثمان» وأزواجه، فقال:

ـ «رقية» و«أم كلثوم» ابنتا رسول الله ﷺ، ولدت له «رقية»، «عبد الله».

ـ و«فاختة بْنَةُ غزوان بن جابر بن نُسَيب بن وُهَيْب بن زيد بن مالك بن عبد مناف بن عوف بن الحارث بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عَيْلان بن مضر»، ولدت له ابناً فسماه «عبد الله» وهو «عبد الله الأصغر»، هلك.

ـ و«أم عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن حُمَمَة بن الحارث بن رفاعة بن سعد بن ثعلبة بن بن لؤي بن عامر بن غَنْم بن دُهْمان بن مُنْهِب بن دَوْس»، من الأزد، ولدت له «عمراً» و«خالداً» و«أباناً» و«عمر» و«مريم».

ـ و«فاطمة بْنَة الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم» ولدت له «الوليد» و«سعيداً» و«أم سعيد» بني «عثمان».

ـ و«أم البنين بنت عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، ولدت له «عبد الملك بن عثمان» هلك.

ـ و«رملة بْنَة شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي» ولدت له «عائشة» و«أم أبان» و«أم عمرو» بنات «عثمان».

ـ و«نائلة بْنَة الفَرَافِصَة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضَمْضَم بن عدي بن خباب بن كلب» ولدت له «مريم بْنَة عثمان».

وقال هشام بن الكلبي: ولدت «أم البنين بنت عيينة بن حصن لعثمان» «عبد الملك» و«عتبة»، وقال أيضاً: ولدت «نائلة»، «عنبسة».

وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تدعى «أم البنين بنت عثمان» من «نائلة»، قال: وهي التي كانت عند «عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان».

وقتل «عثمان» وعنده «رملة بْنَةُ شيبة» و«نائلة» و«أم البنين بنت عُيَيْنَة» و«فاختة بْنَة غزوان»، غير أنه ـ فيما زعم «علي بن محمد» ـ طلَّق «أم البنين» وهو محصور.

فهؤلاء أزواجه اللواتي كن له في الجاهلية والإسلام، وأولاده رجالهم ونساؤهم[١].

أما زواج «عثمان» من «رقية» بنت رسول الله ﷺ فقد سبقت إليه أحداث هامة مهدت لهذا الزواج المبارك. كان «عتبة بن أبي لهب» خطب «رقية» ولما دعا النبي ﷺ قومه إلى الإسلام، أمر «أبو لهب» ولده «عِتبة» بطلاقها، ففارقها قبل أن يدخل بها كرامة لها وهواناً له.

وكانت لعثمان خالة تدعى «سُعْدَى بنت كريز» ذات فصاحة وبيان، شاعرة، كاهنة كانت تتكهن لقريش أيام الجاهلية، وقد أخرج «ابن حَجَر العسقلاني» في «الإصابة» عن أبي سعد النيسابوري في كتاب «شرف المصطفى» ﷺ، من طريق محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو الملقب بالديباج، عن أبيه، عن جده، قال: كان إسلام «عثمان» أنه قال: كنت بفِناء الكعبة، إذ أتينا فقيل لنا: إن «محمداً» قد أنكح «عتبة بن أبي لهب»، «رقية» ابنته، وكانت ذات جمال بارع، وكان «عثمان» مشتهراً بالنساء، وكان وضيئاً، حسناً، جميلاً، أبيض، مشرباً صفرة، جعد الشعر، له جُمَّة أسفل من أذنيه؛ جَذْل الساقين، طويل الذراعين، أقنى بين القنى، ـ أي مرتفع وسط القصبة، ضيق المنخرين ـ.

قال «عثمان»: فلما سمعت ذلك دخلتني حسرة ألَّا أكون سبقت إليها، فلم ألبث أن انصرفت إلى منزلي، فأصبتُ خالتي قاعدة مع أهلي، قال: وأمه «أروى بنت كريز»، وأمها «البيضاء بنت عبد المطلب»، وخالته التي أصابها عند أهله «سُعْدَى بنت كريز» وكانت قد طَرَقَتْ ـ تكهنت بالضرب بالحصى ـ وتكهَّنت لقومها، قال: فلما رأتني قالت:

أبشر وحُيِّيتَ ثلاثاً وِتْرا ... ثم ثلاثاً وثلاثاً أُخرَى
ثم بأخرى كي تتم عَشْرَا ... لقيت خيراً ووُقِيتَ شَرًّا
نكحت والله حصاناً زَهْرَا ... وأنت بِكْرٌ ولقيتَ بِكْرَا

قال: فعجبت من قولها، وقلت: يا خالة! ما تقولين؟ فقالت:

(١) تاريخ الطبري (٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

عثمان يا عثمان يا عثمانُ لك الجمال وإليك الشانُ
هذا نبي معه البرهانُ أرسله بحقه الديانُ
وجاءه التنزيل والفرقانُ فاتبعه لا تغتالُكَ الأوثانُ

فقالت: إن «محمد بن عبد الله» رسول الله، جاء إليه «جبريل» يدعوه إلى الله، مصباحه مصباح، وقوله صلاح، ودِينُه فلاح، وأمره نجاح، لقرنه نطاح، ذلت له البطاح، ما ينفع الصياح، لو وقع الرماح، وسلَّت الصفاح، ومدت الرماح، ثم انصرفت.

ووقع كلامها في قلبي، وبقيت مفكراً فيه، وكان لي مجلس من «أبي بكر الصديق» فأتيته بعد يوم الإثنين، فأصبته في مجلسه، ولا أحد عنده، فجلست إليه، فرآني متفكراً، فسألني عن أمري، وكان رجلاً رقيقاً، فأخبرته بما سمعتُ من خالتي، فقال لي: ويحك يا عثمان! والله! إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل، هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صُمًّا لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع؟ قلت: بلى، والله! إنها لكذلك، قال: والله! لقد صدقتك خالتك، هذا «محمد بن عبد الله» قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه، فهل لك أن تأتيه، وتسمع منه؟ فقلت: نعم، فوالله! ما كان بأسرع من أن مَرَّ رسول الله ﷺ ومعه «علي بن أبي طالب» يحمل ثوباً لرسول الله ﷺ، فلما رآه «أبو بكر» قام إليه، فسارَّه في أذنه، فجاء رسول الله ﷺ فقعد، ثم أقبل عليَّ فقال: «يا عثمان! أجب الله إلى جنّته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه».

قال: فوالله! ما تملَّكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن «محمداً» عبده ورسوله، ثم لم ألبث أن تزوجت «رقيّة» وكان يقال:

أحسن زوجين رأى إنسانُ رقية وزوجها عثمانُ

وفي إسلام «عثمان» تقول خالته «سعدى»:

هدى الله عثمان الصفي بقوله فأرشده والله يهدي إلى الحق
فتابع بالرأي المديد محمداً وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إحدى بناته فكان كبدر مازج الشمس في الأفق

فداؤك يابن الهاشميين مهجتي فأنت أمين الله أرسلت في الخلق[١]

وقال ابن حجر أيضاً: وأسلمت «أروى» ـ أم عثمان ـ وهاجرت بعد ابنتها «أم كلثوم» وبايعت رسول الله ﷺ، ولم تزل بالمدينة حتى ماتت[٢]. وكانت «أروى» تحت «عفان بن أبي العاص» والد «عثمان» فتوفي عنها، فخلف عليها «عقبة بن أبي معيط» فولدت له (الوليد وعماراً وخالداً وأم كلثوم وأم حكيم وهنداً) وقتل «عقبة» مشركاً يوم بدر.

وتوفيت «أروى» في خلافة ابنها «عثمان» رضي الله عنهما، وقد أخرج «ابن سعد» في طبقاته، بسند فيه الواقدي إلى عبد الله بن حنظلة بن الراهب: شهدت «أم عثمان» يوم ماتت، فدفنها ابنها بالبقيع ورجع، وقد صلى الناس فصلى وحده، وصليت إلى جنبه، فسمعته وهو ساجد يقول: اللهم! ارحم أمي، اللهم! اغفر لأمي، وذلك في خلافته[٣].

عاش «عثمان» و«رقية» رضي الله عنهما في سعادة وهناء، ولما تمادت قريش في إيذاء أصحاب رسول الله ﷺ، أذِن لهم بالهجرة إلى بلاد «النجاشي» صاحب الحبشة، ليعبدوا الله عند ملك لا يظلم على أرضه أحد، وانطلق «عثمان» وامرأته «رقية» مع ثلة من المهاجرين، فاحتفى بهم «النجاشي» أيَّما احتفاء، وأكرمهم أيَّما إكرام.

وهناك وضعت «رقية» لعثمان ولده «عبد الله» فسُرَّا به سروراً عظيماً، ولما بلغ سنتين[٤] من عمره، نقره ديك في وجهه، فتورم، ثم أدى إلى وفاته، ولم تنجب سواه.

ووصلت الأخبار إلى الحبشة أن أهل مكة أسلموا فسعدوا كثيراً بذلك وتجهزوا للعودة بعد أن برحت بهم الأشواق إلى المصطفى ﷺ وإلى أهاليهم وذوي قرابتهم، وقبل أن يدخل المهاجرون مكة، علموا أن خبر إسلام أهل مكة عارٍ من الصواب، فرجع بعضهم إلى الحبشة، ودخل بعضهم مكة بمعزل عن

---

(١) الإصابة (٤/ ٢٥٣٣ ـ ٢٥٣٤).
(٢) الإصابة (٤/)٢٤١٣.
(٣) الطبقات (٨/ ٣٦٤) والإصابة (٤/ ٢٤١٣).
(٤) في ذخائر العقبى: ست سنين، ص: ١٦٤.

أعين الرقباء، وكانت «رقية» و«عثمان» مع الداخلين، وذلك ليكحلا أعينهما بطلعة أبيها ومحيا أمها بعد أن عانيا من وطأة الغربة ولوعة الفراق.

واستراحا قليلاً، وسعدا بلقاء الأحبة، ثم استأذنا رسول الله ﷺ في العودة إلى الحبشة، فأذن لهما، وكان وداع الطاهرة «السيدة خديجة» لابنتها وصهرها ثقيلاً ومضنياً، واستعصى عليها حبس دموعها وهي تضم «رقية» إلى صدرها وتغرقها بوابل من قبلاتها، ولم يكن يدور في خلد الأم وفِلْذَة كبدها أن هذا هو الوداع الأخير الذي لا لقاء بعده.

أما الحبيب الأعظم ﷺ فقد ودَّع صهره وابنته وشيَّعهما بمزيد من دعواته المباركة، وأمنياته الطيبة، ولم تلبث «خديجة» أن وقعت بين براثن المرض، ثم فارقت الحياة دون أن تحظى بآخر نظرة من وجه «رقية» المشرق.

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وبلغ المهاجرين في الحبشة ذلك قرروا العودة ليكونوا قريباً من قرة عيونهم، وحين وصلوا المدينة، كان رسول الله ﷺ قد خرج إلى خيبر، فيمموا شطر خيبر، ولما شارفوا أن يصلوها كان آخر حصن من حصونها قد سقط في أيدي المسلمين، فَتَمَّتْ لهم فرحتان: أولاهما فتح خيبر، والثاني عودة المهاجرين.

وكانت أعظم صدمة تلقَّتها «رقية» بعد عودتها من مُهَاجَرها أن أمها «الطاهرة» «خديجة» لم تكن في استقبالها، فقد رحلت خلال غيابها في الحبشة، ولم تلبث «رقية» أن أصيبت بمرض الحصبة، وأخذت صحتها تتدهور شيئاً فشيئاً.

وسمع «عثمان» ﷺ، أن رسول الله ﷺ سيخرج بالمسلمين إلى بدر، فراح يتجهَّز لذلك، كسائر جند الله المخلصين، بيد أن القائد الأعظم ﷺ أمر «عثمان» بالبقاء إلى جانب امرأته المريضة، ولم يكن بوسع الجندي المؤمن إلَّا أن ينصاع وينفذ الأمر، والتقى الجمعان في بدر، ولقي جمع المشركين هزيمة منكرة، وفقدت قريش أكابر مجرميها وأشدهم إيذاء لرسول الله ﷺ والمسلمين، وعلى رأسهم عدو الله، «أبو جهل»، وأنجز الله وعده لرسول الله ﷺ بالنصر المبين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم، الآية: ٤٧].

وقفل رسول الله ﷺ مع أصحابه عائدين إلى المدينة، وأصواتهم تهدر بالتهليل والتكبير، والشكر لله العلي القدير، الذي مَنَّ عليهم بالنصر الكبير،

وعمَّت الفرحة بيوت الأنصار والمهاجرين، إلا رجلاً واحداً كان غريق الدموع، وما ذاك إلَّا لأنه مفجوع، لقد تركته الحبيبة «رقية» ولبَّت دعوة بارئها، ولم يكن في طاقته أن يبخل عليها بالعبرات رحمها الله تعالى.

ووصل رسول الله ﷺ المدينة، وبلَغَه النبأ الأليم، فقصد البقيع، ووجد «عثمان» وهو ينفض يديه من ثرى ضريح الغالية «رقية»، فاسترجع واستغفر لحبّة الفؤاد، ودعا لها بما شاء الله أن يدعو، ثم مال إلى صهره «عثمان» وقال له مواسياً: «**فهذا جبريل عليه السلام يأمرني بأمر الله عز وجل أن أزوّجك أختها**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما عُزِّي رسول الله ﷺ بابنته «رقية» قال: «**الحمد لله دفن البنات من المكرمات**»[1].

وكانت «حفصة بنت عمر» رضي الله عنها قد آمت من زوجها «خنيس بن حذافة» فعرضها على «عثمان» فأخبره بعدم رغبته في الزواج في هذا الحين، فقصد «أبا بكر» فلقي منه ما لقي من «عثمان» فذهب إلى رسول الله ﷺ يشكوهما، فقال له رسول الله ﷺ: «**يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة**».

إن من طباع البشر، إذا أرادوا حاجة من الحاجات استعجلوها، ورغبوا في الوصول إليها وشيكاً، إلَّا رسول الله ﷺ فإن الحلم والأناة كانا في عداد مكارم الأخلاق التي تحلَّى بها، وجاء إلى الناس لِيُتَمِّمَها، ورد في الحديث أنه ﷺ لم يتزوج شيئاً من نسائه، ولا زوَّج شيئاً من بناته إلا بأمر من الله عز وجل جاءه «جبريل» عليه السلام به: من أجل هذا لم يصرِّح لعثمان أنه سيتزوج «حفصة» وأنه سيزوجه «أم كلثوم» رضي الله عنها، وكان «أبو لهب» عم رسول الله ﷺ قد خطب لولديه «عتبة» و«عتيبة» ابنتي رسول الله ﷺ «رقية» و«أم كلثوم» رضي الله عنهما، ولما تمادت قريش في إيذاء المسلمين لفتنهم عن دينهم، أجمعت رأيها على أن تأمر فتيانها ممن هاجروا رسول الله ﷺ برد بناته عليه، وهذا يؤذيه أكثر مما لو كان الأذى يمس ذاته الشريفة، فجاءوا «أبا العاص بن الربيع» خَتَنَه على ابنته «زينب» رضي الله عنها فقالوا له: طلِّق ابنة «محمد» ﷺ ونحن نزوجك المرأة التي تريد من قريش، فخيَّب «أبو

(١) ذخائر العقبى، ص: ١٦٣.

العاص» أملهم، وقال لهم بحزم: ما أنا بمفارق صاحبتي، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش، وكان يومئذٍ على ملة المشركين.

لكن «أبا لهب» وامرأته «حمالة الحطب» بادرا ولديهما «عتبة» و«عتيبة» فقال «أبو لهب» لهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتي «محمد»، ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما.

واكتفى «عتبة» بطلاق «رقية» إلَّا أنَّ أخاه «عتيبة» لم يكتفِ بطلاق «أم كلثوم»، بل أبعد في غيه، وأسرف في ضلاله، وارتكب منكراً كبيراً وجرماً عظيماً بحق سيد البشر، يقول قتادة فيما رواه «المحب الطبري» في «ذخائر العقبى»: إن «عتيبة» فارق «أم كلثوم»، ولم يبن بها، ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال له: كفرتُ بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه وشق قميصه، وهو خارج نحو الشام تاجراً، فقال ﷺ: «**أما إني أسأل اللهَ أن يسلط عليه كلبه**»، فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له: الزرقاء ليلاً، فأطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل «عتيبة» يقول: يا ويل أمي! هو والله! آكلي كما دعا عليَّ «محمد»، أقاتلي «ابن أبي كبشة» وهو بمكة وأنا بالشام؟ فعدا عليه الأسد من بين القوم، فأخذ برأسه ففدغه.

وفي رواية ثانية: عن عروة بن الزبير أن «عتيبة» لما أراد الخروج إلى الشام، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد! هو يكفر بالذي دنا فتدلَّى، فكان قاب قوسين أو أدنى، ثم تفل وردَّ التفلة على رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «**اللهم! سَلِّطْ عليه كلباً من كلابك**»، و«أبو طالب» حاضر، فوجَم لها ـ أي: عبس وأطرق وسكت عن الكلام ـ وقال: ما كان أغناك عن دعوة ابن أخي!

ثم خرج إلى الشام، فنزلوا منزلاً، وأشرف عليهم راهب من الدير، فقال: أرضٌ مَسْبَعَة ـ أي: ذات سباع ـ فقال «أبو لهب»: «يا معشر قريش! أعينوني على هذه الليلة، فإني أخاف دعوة «محمد».

فجمعوا أحمالهم، ففرشوا لعتيبة في أعلاها، وباتوا حوله، فجاء الأسد، فجعل يتشمَّم وجوههم، ثم ثنى ذنبه، فوثب، فضربه ضربة واحدة، فخدشه، فقال: قتلني، ومات، وروي أن الأسد أقبل يتخطاهم حتى أخذ برأس «عتيبة»

ففدغه ـ أي: خدشه وشقه ـ[١].

وهكذا لقي عدو الله جزاء شنيعاً موافقاً لشنيع جرمه، وعظيم خطيئته، وفاز مع أبيه وأمه، بالخلود في عذاب السعير.

وفكَّر «عمر» ﷺ في قول رسول الله ﷺ له، مَنْ خير مِنْ «عثمان» فيزوجه «حفصة» ومَنْ خير مِنْ «حفصة» فيتزوجها «عثمان؟».

وبعثت السماء بالرد الشافي، ونزل الأمر الإلٰهي، فتزوج رسول الله ﷺ «حفصة» وهو خير من «عثمان» ﷺ، وزوَّج «عثمان»، «أم كلثوم» وهي خير مِنْ «حفصة» ﷺ.

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أتاني «جبريل» فأمرني أن أزوِّج «عثمان» ابنتي»**.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: لقي النبي ﷺ عند باب المسجد، فقال: **«يا عثمان! هذا «جبريل» أخبرني أن الله تعالى قد أمرني أن أزوجك «أم كلثوم» بمثل صداق «رقية» وعلى مثل صحبتها»**.

وعنه قال: قال «عثمان»: لما ماتت امرأته بنت رسول الله ﷺ بكيتُ بكاء شديداً فقال رسول الله ﷺ: **«ما يبكيك؟»** قلت: أبكي على انقطاع صهري منك، قال: **«فهذا جبريل عليه السلام يأمرني بأمر الله ﷻ أن أزوجك أختها»**.

وعن ابن عباس ﷺ معناه، وفيه: **«والذي نفسي بيده! لو أن عندي مائة بنت تموت واحدة بعد واحدة، زوجتك أخرى حتى لا يبقى بعد المائة شيء، هذا «جبريل» أخبرني أن الله ﷻ يأمرني أن أزوجك أختها، وأن أجعل صَداقها مثل صَداق أختها»**. روى هذه الأحاديث «المحب الطبري» في ذخائره[٢].

فأي فضل كان لعثمان!! ثم لقي «أبو بكر»، «عمر» بعد أن تزوج رسول الله ﷺ «حفصة» ﷺ، فقال «أبو بكر» ﷺ: لعلك وجدت عليَّ حين لم أردَّ عليك عندما عرضت عليَّ «حفصة» قال: نعم، قال «أبو بكر»: لقد علمت أن

---

(١) ذخائر العقبى، ص: ١٦٤ ـ ١٦٥.
(٢) ذخائر العقبى، ص: ١٦٥ ـ ١٦٦.

رسول الله ﷺ ذكرها، ولم أكن لأفشيَ سر رسول الله ﷺ، ولو تركها لنكحتها.

أجل! لا يعلم ما في القلوب، إلَّا علام الغيوب، ولا يعرف ما في الضمائر، إلَّا المطَّلع على السرائر، ولا يدري بما تخفي الصدور، إلَّا العزيز الغفور.

وروى صاحب «مختصر تاريخ دمشق» عن عائشة ﵂ قالت: لما زوَّج النبي ﷺ ابنته «أم كلثوم» قال لأم أيمن: «**هيئي ابنتي أم كلثوم**» **وزُفِّيها إلى «عثمان» وخفقي بين يديها بالدُّفّ»**، ففعلت ذلك، فجاءها النبي ﷺ بعد الثالثة، ـ أي: الليلة الثالثة ـ فدخل عليها، فقال: «**يا بنية! كيف وجدت بعلك؟**» قالت: خير بعل، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه أشبه الناس بجدك «إبراهيم»، وأبيك «محمد»** صلى الله عليهما[١].

وروى أيضاً: أن «أم كلثوم» ﵂ جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! زوج فاطمة خير من زوجي! قال: فأَسْكَتَ النبي ﷺ مليًّا، ثم قال: «**زَوَّجتُكِ مَنْ يحبه اللهُ ورسولُه، ويحب اللهَ ورسوله**» فولَّت.

فقال: «**هلمي ماذا قلتُ؟**» قالت: زوَّجتني مَنْ يحب اللهَ ورسولَه، ويحبه اللهُ ورسولُه. قال: «**نعم، وأزيدك: لو قد دخلتِ الجنة فرأيتِ منزله لم تَرَيْ أحداً من أصحابي يعلوه في منزله**»[٢].

ولقي «عثمان» بصحبة «أم كلثوم» موفور السعادة، وأتم الهناء، ولقب بعد زواجه منها بذي النورين، فقد روي عن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إنما سُمِّيَ «عثمان» ذا النورين لأنه لا نعلم أحداً أغلق بابه على ابنتي نبي غيره[٣].

وقد نعتَ «عثمانَ بن عفان» أبو نعيم في حليته فقال: القانت ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين[٤].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٦/ ١٢٠).
(٢) المصدر السابق نفسه (١٦/ ١٢١ ـ ١٢٢).
(٣) المصدر السابق نفسه (١٦/ ١٢٢).
(٤) حلية الأولياء (١/ ٥٩).

وكان «عثمان» ـ على قاتليه لعائن الديان ـ جَمَّ المناقب، ومن أرفعها شدة حيائه، فقد أخرج «المتقي الهندي» في «كنز العمال» عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عثمان أحيا أمتي وأكرمها**»(١).

وعنه، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد أمتي حياء عثمان بن عفان**»(٢).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه، حدثنا يحيى بن يحيى، ويحيى بن أيوب وقتيبة وابن حُجْر، (قال يحيى بن يحيى: أخبرنا، وقال الآخرون: حدثنا) إسماعيل ـ يعنون ابن جعفر ـ عن محمد بن أبي حرملة، عن عطاء وسليمان ابني يسار، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن؛ أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن «أبو بكر»، فأذِن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن «عمر»، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن «عثمان» فجلس رسول الله ﷺ، وسوَّى ثيابه. ـ قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد ـ فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل «أبو بكر» فلم تهتشَّ له الهِشَاشَة والبشاشة: طلاقة الوجه وحسن اللقاء ـ، ولم تُبَالِهِ ـ لم تكترث له ولم تحتفل لدخوله ـ ثم دخل «عمر» فلم تهتشَّ له، ولم تُبَالِهِ، ثم دخل «عثمان» فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك! فقال ﷺ: «**ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة؟**»(٣).

وكانت قريش تُوَادُّ «عثمان» وتحبه، حتى ضرب بتلك المودة والمحبة والمثل، وقد قال أحد الشعراء:

أحبك والرحمٰن حب قريش عثمان

وكانت «أم كلثوم» رضي الله عنها تكتشَف لعثمان في كل يوم خلقاً حميداً، وفضلاً مجيداً، وطبعاً فريداً، تزيدها له محبة وبه إعجاباً، وكيف لا تحب من يحبه اللهُ ورسولُه ﷺ، ويحبُّ اللهَ ورسولَه؟ ولقد أمضت ست سنوات مع «عثمان» تحت

(١) كنز العمال (٣٢٨٠٦/١١) وحلية الأولياء (٥٩/١).
(٢) كنز العمال (٣٢٨٠٦/١١) وحلية الأولياء (٥٩/١).
(٣) صحيح مسلم (٢٤٠١/٢٦).

سقف واحد، حفلت بالسعادة والوئام، واتسمت بالانسجام، لأنه الزوج الذي صُنِعَ على عين الله، ورضيه لها رسول الله ﷺ، فهل تطمح المرأة إلى زوج أفْضَل من «عثمان» وأَنْبَل؟

ولئن كان أبوها رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، فقد قبس عنه أصحابه الجود والكرم، فكانوا ينفقون أموالهم في سبيل الله ونشر دينه، وإعلاء كلمته، وإعانة المنكوبين والمحتاجين ما يعزُّ حصره، وكان «عثمان» واحداً من أجواد الصحابة، فقد أخرج «أبو نعيم» في حليته، عن عبد الرحمٰن بن أبي حباب السلمي، قال: خطب النبي ﷺ فَحَثَّ على جيش العسرة، فقال «عثمان»: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم حَثَّ، فقال «عثمان»: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها، قال: ثم حَثَّ، فقال «عثمان»: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها، فرأيت النبي ﷺ يقول بيده يحركها: «**ما على عثمان ما عمل بعد هذا**».

وعن عامر الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله، قال: رأى رسول الله ﷺ «عثمان بن عفان» يوم جيش العسرة جائياً وذاهباً، فقال: «**اللهم! اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر، وما أخفى وما أعلن، وما أسر وما أجهر**»، قال محمد بن إسحاق: ما حفظت من الشعبي إلا هذا الحديث الواحد.

وعن عبد الرحمٰن بن سمرة، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في جيش العسرة فجاء «عثمان» بألف دينار فنثرها بين يدي رسول الله ﷺ ثم ولَّى، قال: سمعت رسول الله ﷺ، وهو يقلب الدنانير، وهو يقول: «**ما يضر «عثمان» ما فعل بعد هذا اليوم**».

وعن مالك، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ، قال: لما جهَّز النبي ﷺ جيش العسرة، جاء عثمان بألف دينار، فصبَّها في حَجْر النبي ، فقال النبي : «**اللهم! لا تنسى لعثمان، ما عمل بعد هذا**».

وعن سفيان، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، قال: حمل «عثمان» على ألف فيها خمسون فرساً في غزوة تبوك[1].

وشاءت إرادة الله ألا تنجب «أم كلثوم» أبداً، ولكن شيئاً واحداً كان ينغِّص

(١) حلية الأولياء (١/ ٦٢ ـ ٦٣).

صفو حياتها، ويعكِّر سعادتها، لقد كانت بحاجة إلى وجود أمها «خديجة» إلى جانبها، ولكن هيهات!، ومن العبث أن تفكر بذلك لأن من رحلوا قبل أمها وبعد أمها لم يعد منهم أحد، وتلك سنة الحياة، ولا عودة إليها إلَّا يوم البعث والنشور.

وذات يوم أحسَّت «أم كلثوم» أنها مرهقة، فأخلدت إلى فراشها، وانتاب «عثمان» قلق شديد، لأن رحيلها يعني انقطاع صهره من رسول الله ﷺ، وظن أن الراحة والاستلقاء في الفراش قد يعيد إليها حيويتها ونشاطها، ولكن تبيَّن أن الأمر أبعد مما ظن وأخطر، لأن الإرهاق تحوَّل إلى مرض، وهذا المرض على ما يبدو لم يكن من النوع البسيط، لأن المريضة الفتية بدأ جسمها بالذُّبُول، وعلا الشحوب طلعتها التي كانت تُشِعُّ نوراً وبهاء، واستدعى «عثمان» رسول الله ﷺ فراح يدعو لها دعواته المباركات، وقضى الأهل وبعض الصحابة ليلتهم إلى جانبها للاطمئنان عليها، وإذا صوت بلال يخترق المسامع مُؤْذِناً بحلول صلاة الفجر، وانطلق الجميع إلى المسجد لشهود الفجر والصلاة مع رسول الله ﷺ، وأمر «عثمان» أم عياش بمراقبة «أم كلثوم» ريثما يفرغون من صلاة الفجر، ولاحظت أن ذبولها قد اشتد، وأنينها قد خَفَتَ، وأنفاسها قد ضعفت، فأرسلت من يخبر «عثمان» ليحضر.

وجاء «عثمان» على عجل، ومعه رسول الله ﷺ و«الصديق» و«الفاروق» و«أبو الحسن» وثلة من المهاجرين والأنصار.

كلهم يدعو ويتوسل إلى الله، وكلهم عاجز عن حبس دموعه ووقف عبراته، ورسول الله ﷺ لا ينطق إلَّا بما يرضي الرب، وحُمَّ القضاء، وتوقفت الأنفاس، والروح قد صَعِدت إلى بارئها.

ولحقت «أم كلثوم»: بأمها «خديجة» وأختيها «زينب» و«رقية» تاركة دار الفناء لتلقاهن في دار البقاء، رحمها الله تعالى.

وأما امرأته «أم البنين بنت عيينة بن حصنَ» فكان أبوها «عيينة» يقال له: أحمقُ مطاعٌ، وهو الذي أغار على لقاح النبي ﷺ بالغابة. وجاء في «الطبقات» لابن سعد: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمر بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة واسم فزارة «عمرو» وكان ضربه أخ له ففزره فسمي

«فزارة» وكان اسم «عيينة»، «حذيفة» فأصابته لَقْوَة، فجحظت عيناه، فسمي «عيينة» وكان يكنى «أبا مالك». ثم قال «ابن سعد»: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني إبراهيم بن جعفر، عن أبيه، قال: أجدبت بلاد آل بدر بن عمرو حتى ما أبقت من مالهم إلا الشريد، وذكرت له سحابة وقعت بِتَغْلَمِينَ إلى «بطن نخل»، فسار «عيينة بن حصن» في آل بدر نحواً من مائة بيت حتى أشرف على «بطن نخل»، ثم هابَ النبيَّ ﷺ وأصحابَه، فورد المدينة، فأتى النبي ﷺ فدعاه إلى الإسلام فلم يبعد ولم يدخل فيه، وقال: إني أريد أن أدنو من جوارك فوادِعْني، فوادعه ثلاثة أشهر لا يغير أحد من المسلمين على أحد منهم، ولا يغير أحد منهم على المسلمين، فلما انقضت المدة، انصرف «عيينة» وقومه إلى بلادهم، قد أسمنوا وألبنوا، وسمن الحافر من الصِّلِّيان، وأعجبهم مرآة البلد، فأغار «عيينة» بذلك الحافر على لقاح النبي ﷺ التي كانت بالغابة، فقال له «الحارث بن عوف»: ما جزيت «محمداً» أسمنت في بلاده، ثم غزوته، قال: هو ما ترى.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني عبد العزيز بن عقبة بن سلمة بن الأكوع، عن إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: أغار عيينة بن حصين، في أربعين رجلاً من قومه وهي بالغابة عشرون لقحة واستاقها، وقتل ابناً لأبي ذر كان فيها.

فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم، وخرج معه المسلمون حتى انتهوا إلى «ذي قَرَد»، فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي، وهي عشر، وقتلوا: «حبيب بن عيينة» و«مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر» و«قرفة بن مالك بن حذيفة» و«أوثاراً» و«عمرو بن أوتار».

قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثني محمد بن عبد الله الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: كان «عيينة بن حصين» أحد رؤوس غطفان مع الأحزاب الذي ساروا إلى رسول الله ﷺ مع قريش إلى الخندق.

فلما حُصِرَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه، وخلص إليهم الكرب، أرسل رسول الله ﷺ إلى «عيينة بن حصن» و«الحارث بن عوف»: أرأيت إن جعلت لكم ثلث تمر المدينة، أترجعان بمن معكما وتخذلان بين الأعراب؟ فرضيا بذلك.

وحضروا وحضر رسول الله ﷺ وأحضروا الدواة والصحيفة، فهو يريد أن يكتب الصلح بينهم فجاء «أُسَيْد بن حُضَيْر»، و«عيينةُ» مادًّا رجليه بين يدي

رسول الله ﷺ وعلم ما يريدونه، فقال: يا عين الهِجْرِس[١]! اقبض رجليك، أتمدهما بين يدي رسول الله ﷺ؟ والله! لولا رسول الله ﷺ لأنفذت حضنك بالرمح، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: إن كان أمر من السماء فامضِ له، وإن كان غير ذلك، فوالله! ما نعطيهم إلا السيف، متى طمعتم بهذا منا؟ واللهِ! إنْ كانوا لِيَأْكُلُوا العِلْهِز[٢] من الجهد، فما يطمعون بهذا منا أن يأخذوا تمرة إلا بشراء أو قِرىً، فحين أتانا الله بك، وأكرمنا بك نعطي الدنيَّة؟ لا نعطيهم أبداً إلا السيف.

وقال «سعد بن معاذ» و«سعد بن عبادة» مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «شُقَّ الكتاب»، فَتَفَلَ فيه «سعد»، ثم شَقَّه.

فقال «عيينة»: أما والله! لَلَّذِي تركتم خير لكم من الحنطة التي أخذتم، وما لكم بالقوم طاقة.

فقال «عَبَّاد بن بشر»: يا عيينة! أبالسيف تخوفنا؟ ستعلم أينا أجزع، والله! لولا مكان رسول الله ﷺ ما وصلتم إلى قومكم.

فرجع «عيينة» و«الحارث» وهما يقولان: والله! ما نرى أن ندرك منهم شيئاً، فلما أتيا منزلهما جاءتهما غطفان، فقالوا: ما وراءكم؟ قالوا: لم يتم لنا الأمر، رأينا قوماً على بصيرة وبذل أنفسهم دون صاحبهم.

قال «محمد بن عمر»: فلما انكشف الأحزاب، انكشف «عيينة» في قومه إلى بلاده، ثم أسلم قبل فتح مكة بيسير، فذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح وهو بين «عيينة» و«الأقرع».

قال: أخبرنا علي بن محمد القرشي، عن علي بن سليم، عن الزبير بن خبيب، قال: أقبل «عيينة بن حصين» إلى المدينة قبل إسلامه، فتلقَّاه ركب خارجين من المدينة، فقال: أخبروني عن هذا الرجل، قالوا: الناس فيه ثلاثة، رجل أسلم فهو معه يقاتِل قريشاً والعرب، ورجل لم يسلم فهو يقاتله فبينهم

(١) الهِجْرِس: القِرْدُ.
(٢) العِلْهِز: طعام من الدم والوبر كانوا يأكلونه عند المجاعة.

التذابح، ورجل يُظْهِرُ له الإسلامَ ويظهر لقريش أنه معهم، قال: ما يُسَمَّى هؤلاء القوم؟ قالوا: يُسَمَّوْنَ المنافقين، قال: ما في من وصفتم أحزم من هؤلاء، اشهدوا أني منهم.

وتابع «ابن سعد» قوله: ولما قدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ فرد رسول الله ﷺ السبي، كان «عيينة» قد أخذ رأساً منهم نظر إلى عجوز كبيرة، فقال: هذه أم الحي لعلهم أن يغلوا بفدائها، وعسى أن يكون لها في الحي نسب.

فجاء ابنها إلى «عيينة» فقال: هل لك في مائة من الإبل؟ قال: لا، فرجع عنه فتركه ساعة، وجعلت العجوز تقول لابنها: ما أَرَبُكَ فِيَّ بعد مائة ناقة؟ اتركه فما أسرع ما يتركني بغير فداء.

فلما سمعها «عيينة» قال: ما رأيت كاليوم خدعة، والله! ما أنا من هذه إلا في غرور، لا جرم، والله! لأُبَاعدَنَّ أثرك مني.

قال: ثم مَرَّ به ابنها، فقال «عيينة»: هل لك فيما دعوتني إليه؟ فقال: لا أزيدك على خمسين، فقال «عيينة»: لا أفعل، ثم لبث ساعة، فمَرَّ به وهو معرض عنه، فقال له «عيينة»: هل لك في الذي بذلت لي؟ قال له الفتى: لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة، قال «عيينة»: والله! لا أفعل، فما تخوَّف «عيينة» أن يَتَفَرَّق الناس، ويرتحلوا، قال: هل لك إلى ما دعوتني إليه؟ قال الفتى: هل لك في عشر فرائض؟، قال: لا أفعل، فلما رحل الناس ناداه «عيينة»: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟ قال الفتى: أرسلها وأحمدك، قال: لا والله! ما لي حاجة بحمدك، فأقبل «عيينة» على نفسه لائماً لها يقول: ما رأيت كاليوم امرءاً أنكَد، قال الفتى: أنت صنعت هذا بنفسك، عمدت إلى عجوز كبيرة، والله! ما ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا صاحبها بواجد، فأخذتها من بين من ترى؟ فقال له «عيينة»: خذها لا بارك الله لك فيها.

قال: يقول الفتى: يا عيينة! إن رسول الله ﷺ قد كسا السبي فأخطأها من بينهم الكسوة فهل أنت كاسيها ثوباً؟ قال: لا والله! ما لها ذاك عندي.

قال: لا تفعل، فما فارقه حتى أخذ منه شمل ثوب، ثم ولَّى الفتى وهو

يقول: إنك لغير بصير بالفرص.

وشكا «عيينة» إلى «الأقرع» ما لقي، فقال له الأقرع: إنك والله! ما أخذتها بكراً غريرة، ولا نصفاً وثيرة، ولا عجوزاً مَيِّلة، عمدت إلى أحوج شيخ في هوازن فسبيت امرأته، قال «عيينة»: هو ذاك، قال: وأعطى رسول الله ﷺ «عيينة ابن حصن» من غنائم حنين مائة من الإبل، وبعثه رسول الله ﷺ سرية في خمسين رجلاً ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري إلى بني تميم، فوجدهم قد عدلوا من السقيا يؤمون أرض بني سُلَيْم في صحراء قد حلُّوا وسرَّحوا مواشيهم، والبيوت خلوف ليس فيها أحد إلَّا النساء، فلما رأوا الجمع وَلَّوْا، فأغار عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ في دار «رملة بنت الحارث»، فقدم فيه عشرة من رؤسائهم وفداً إلى رسول الله ﷺ وأنزل الله فيهم القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحُجرَات، الآية: ٤] ورد رسول الله ﷺ الأسرى والسبي، وأمر رسول الله ﷺ للوفد بجوائز.

قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن عائشة، قالت: دخل «عيينة بن حصن» على النبي ﷺ وأنا عنده، فقال «عيينة»: من هذه الحميراء؟ يا محمد! فقال رسول الله ﷺ: «**هذه عائشة بنت أبي بكر**»، فقال: ألا أنزل لك عن أحسن الناس عن ابنة «جمرة» فتنكحها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا**»، قالت: فلما خرج، قلت لرسول الله ﷺ: من هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذا الحمق المطاع**»، قالوا: وكان «عيينة» قد ارتد حين ارتدت العرب، ولحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ، فآمن به وصدقه على ما ادعى من النبوة، فلما هزم «طليحة» وهرب، أخذ «خالد بن الوليد»، «عيينة بن حصن» فبعث به إلى «أبي بكر الصديق» رضي الله عنه في وَثاق، فقدم به المدينة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فنظرت إلى «عيينة» مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد ويضربونه ويقولون: أي عدو الله! كفرت بعد إيمانك، فيقول: والله! ما كنتُ آمنتُ، ووقف عليه «عبد الله بن مسعود» فقال: خبتَ وخسرتَ، إنك لَمُوضِعٌ في الباطل قديماً، فقال «عيينة»: أقصر أيها الرجل! فلولا ما أنا فيه لم تكلمني بما تكلمني به، فانصرف عنه «ابن مسعود».

فلما كلَّمه «أبو بكر» رجع إلى الإسلام، فقبل منه، وعفا عنه، وكتب له أماناً. قال: أخبرنا علي بن محمد، عن عامر بن أبي محمد، قال: قال «عيينة» لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين! احترس أو أخرج العجم من المدينة، فإني لا آمن أن يطعنك رجل منهم في هذا الموضع، ووضع يده في الموضع الذي طعنه «أبو لؤلؤة»، فلما طعن «عمر» ﷺ، قال: ما فعل «عيينة؟» قالوا: بالهجم أو بالحاجر، فقال: إن هناك لرأياً.

قال: أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن قايد، قال: كانت «أم البنين بنت عيينة» عند «عثمان» فدخل «عيينة» على «عثمان» بغير إذن، فقال له «عثمان»: تدخل عليَّ بغير إذن، فقال: ما كنت أرى أني أحجب عن رجل من مضر أو أستأذن عليه، فقال «عثمان»: إذاً فأصب من العشاء، قال: أنا صائم، قال: تصوم الليل؟ قال: إني ميلت بين صوم الليل والنهار فوجدت صوم الليل أيسر عليَّ.

قال: أخبرنا علي بن محمد، عن أبي الأشهب، عن الحسن، قال: عاتب «عثمان»، «عيينة» فقال: ألم أفعل؟ ألم أفعل؟ وكنت تأتي «عمر»، ولا تأتينا، فقال: كان «عمر» خيراً لنا منك، أعطانا فأغنانا، وأخشانا فاتَّقانا.

قال علي بن محمد: وكان «عيينة» شريفاً، رَبَّع في الجاهلية، وخَمَّس في الإسلام، وعمي في خلافة «عثمان»[1].

وأخرج «أبو عمر بن عبد البر» في «الاستيعاب»: وروى أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: سمعت «عيينة بن حصن» يقول لعبد الله: أنا ابن الأشياخ الشم، فقال له عبد الله: ذاك «يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»، فسكت، وكان له ابن أخ له دِين وفضل.

قال سفيان بن عيينة، عن الزهري: كان جلساء «عمر بن الخطاب» أهل القرآن شباباً وكهولاً، فجاء «عيينة الفزاري»، وكان له ابنُ أخ من جلساء «عُمَرَ» يقال له: «الحُرُّ بن قيس» فقال لابن أخيه: ألا تدخلني على هذا الرجل؟ فقال:

(١) الطبقات (٨/ ٥٥٥ ـ ٥٥٩).

إني أخاف أن تتكلم بكلام لا ينبغي، فقال: لا أفعل، فأدخله على «عمر»، فقال: يابن الخطاب! والله! ما تقسِم بالعدل، ولا تعطي الجَزْل، فغضب «عمر» غضباً شديداً حتى هَمَّ أن يوقع به، فقال له ابن أخيه: يا أمير المؤمنين! إن الله ﷻ يقول في محكم كتابه: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٨] وإن هذا من الجاهلية، قال: فخلَّى عنه «عمر»، وكان وقافاً عند كتاب الله[١].

وأما «رملة بنت شيبة بن ربيعة» فقد كان أبوها من كبار سفهاء قريش وقد قتله «حمزة بن عبد المطلب» يوم بدر، قال «أبو عمر بن عبد البر»: كانت من المهاجرات، هاجرت مع زوجها «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، وفي ذلك تقول لها «هند بنت عتبة»:

لحا الرحمٰنُ صابئةً بِوَجٍّ ... ومكة عند أطراف الحجون

تدين لمعشر قتلوا أباها ... أقتل أبيك جَاءك باليقين[٢]

وكانت آخر أزواجه «نائلة بنت الفَرَافِصَة»، وكانت من قوم «عيسى بن مريم» عليه السلام، وقد ذكرها الحافظ «ابن عساكر» في كتابه «أعلام النساء»، فقال: هي «نائلة بنت الفَرَافِصَة بن الأحوص بن عمرو» ويقال: «عفير بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم» زوج «عثمان بن عفان». ثم قال «ابن عساكر»: قالت «نائلة»: لما حُصِرَ «عثمان» ظل اليوم الذي كان قبل قتله بيوم صائماً، فلما كان عند إفطاره، سألهم الماء العذب، فأبوا عليه، وقالوا: دونك الرَّكِيَّ - أي: المكان الذي يلقى فيه النتن -.

قالت: فلم يفطر، فأتيتُ جاراتٍ لنا على أجاجير - جمع إجَّار، وهو السطح - متواصلة، وذلك في السحر، فسألتهم الماء العذب، فأعطوني كوزاً من ماء، فأتيته، فقلت: هذا ماء عذب أتيتُك به.

قالت: فنظر، فإذا الفجر قد طلع، فقال: إني أصبحت صائماً، قالت:

---

(١) الاستيعاب (٤/ ١٢٥٠ - ١٢٥١).

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٤٦).

فقلت: من أين، ولم أر أحداً أتاك بطعام ولا شراب؟ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ اطَّلع عليَّ من هذا السقف، ومعه دلو من ماء، فقال: «اشرب يا عثمان!» فشربتُ حتى رويتُ، ثم قال: «ازدد»، فشربت حتى ثَمِلْتُ ـ أو نهلت ـ ثم قال: أما إن القوم سيكرون عليك، فإن قاتلتهم ظفرت، وإن تركتهم أفطرت عندنا، فدخلوا عليه من يومه فقتلوه، ثم قال ابن عساكر: زوَّج «نائلة بنت الفَرَافِصَة» أخوها «ضَبٌّ»، وهو الذي حملها إلى «عثمان»، وكان «ضَبٌّ» مسلماً، وكان أبوها نصرانياً، فأمر ابنه «ضَبًّا» بذلك، فقالت لأخيها:

أحقًّا تراه اليوم يا ضَبُّ إنني ... مرافقة نحو المدينة أركبا
لقد كان في فتيان حصن بن ضَمْضَمٍ ... وجدك ما يغني الخباء المُحَجَّبا

وكان «سعيد بن العاص» تزوج أخت «نائلة بنت الفَرَافِضَة»، وهو أمير على الكوفة، فبلغ ذلك «عثمان بن عفان»، فكتب إليه: بلغني أنك تزوجت امرأة، فأخبرني عن حَسَبِهَا وجمالها، فكتب إليه: أما عن حَسَبِهَا، فإنها ابنة «الفَرَافِصَة»، وأما جمالها فإنها بيضاء، وكتَبَ إليه: إن كان لها أخت فزوجنيها.

فدعا «الفَرَافِصَة» فقال له: زَوِّجْ أمير المؤمنين، فقال «الفَرَافِضَةُ» لابنه «ضَبٍّ» ـ وكان مسلماً، والفَرَافِصَةُ نصراني ـ: زوِّج أختك أمير المؤمنين، فزوَّجه «نائلة»، وحملها إليه، فلما دخلت على «عثمان»، وضع القلنسوة عن رأسه، وبدا الصَّلَعُ، فقال: لا يَغُمَّنَّكِ ما تَرَيْن، فإن من ورائه ما تحبين.

قالت له: أما ما ذكرت من صلعك فإني من نسوة أحب أزواجهن إليهن السادة الصُّلْعُ، ثم قال لها: إما أن تتحوَّلي إليَّ أو أتحوَّل إليك.

قالت: ما قطعت من جنبات «السماوة» أبعد مما بيني وبينك، فتحوَّلت إليه، فكانت من أحظى النساء عنده.

قالوا: وتزوجها وهي نصرانية على نسائه، ثم أسلمت على يديه، ولما قُتِلَ «عثمان» قالت «نائلة» فيه:

ألاَ إن خير الناس بعد ثلاثةٍ ... قتيلُ التُّجيبِيِّ الذي جاء من مصرِ
وما لي لا أبكي وأبكي قرابتي ... وقد غُيِّبَتْ عني فُضُول أبي عمرِو

قال: وكانت كلب كلهم يومئذ نصارى.

عن عبد الله بن علي بن السائب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن هشام بن عبد المطلب، من بني عبد مناف، قال: إن «عثمان بن عفان» تزوَّج «نائلة بنت الفَرَافِصَة»، وهي نصرانية على نسائه، وكلب كلهم يومئذ نصارى.

قال: فدخلتُ على جارية مثل الخَلِفَة ـ الناقة ـ، فقلت: سلام عليك، قالت: وعليك السلام ورحمة الله، ونساء كلب ذلك الزمان لا يكلمن أزواجهن سنة، أو كما قال، ثم قلتُ: أين أنتِ من شيخٍ أثرمَ ـ سنة مكسورة من أصلها ـ هَرِمٍ، فقالت: إني من قوم يحبون الكهولة، فسررتُ بذلك.

قلتُ: أتأذنين لي فآتيَك؟، قالت: بلى، أنا أحق أن أقوم إليك، قال: فما زلتُ متشكراً لها، ثم أسلمت على يديه.

عن محمد وطلحة وأبي حارثة، وأبي عثمان، قالوا: لما خرج «محمد بن أبي بكر» وعرفوا انكساره، ثار «قُتَيْرَة» و«سُودان بن حُمْران» السكونيان و«الغافقي» ـ يعني ـ فضربه «الغافقي» بجريدة[1] ـ أي: سَعْفة ـ معه، وضرب المصحف برجله، واستدار المصحف، وانتشر، فاستقر بين يديه، وسالت عليه الدماء، وجاء «سُودان بن حُمْران» ليضربه، فأكبَّت عليه «نائلة» واتَّقتِ السيف بيدها فتعمَّدها ـ قصدها ـ ونفح ـ ضرب ـ أصابعها، فأطَنَّ ـ قطع ـ أصابع يدها، وولَّت، فغمز ـ فَجسَّ ـ أوراكها ـ الوَرِكُ: ما فوق الفخذ، وقال: إنها لكبيرة العجيزة، وتضرَّب «عثمان» فَقتله. وقد دخل مع القوم غِلْمة لعثمان لينصروه، وقد كان «عثمان» أعتق من كفَّ منهم، فلمَّا رأى «سُودان» قد ضربه، أهوى إليه فضرب عنقه، ووثب «قُتَيْرَة» على الغلام فقتله، وانتهبوا ما في البيت، وأخرجوا من فيه، ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى، فلمَّا خرجوا إلى الدار، وثب غلام لعثمان آخر على «قُتَيْرَة» فضربه فقتله، ودار القوم فأخذوا ما وجدوا، حتى تناولوا ما على النساء، وأخذ رجلُ ملاءة «نائلة»، والرجل يدعى «كلثوم» من «تُجِيبَ» فتنحَّت «نائلة» فقال: وَيْحَ أمك من عَجِيزَةٍ، ما أتَمَّكِ! ويضربه غلام آخر لعثمان فقتله.

---

(١) عند الطبري: (بحديدة).

وعن يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثوبان، قال: نظرتْ «نائلة بنت الفَرَافِصَة» امرأة «عثمان بن عفان» في المرآة فأعجبها ثغرها، فأخذت فِهراً فكسرت ثناياها، وقالت: والله! لا يَجْتنيكُنَّ أحد بعد «عثمان»، ثم إن «معاوية بن أبي سفيان» خطبها، فأبت عليه، وأنشأت تقول:

أبــى اللهُ إلَّا أن تــكــونــي غــريــبــةً بــيــثــربَ لا تَــلْــقَــيْــنَ أُمًّــا ولا أَبَــا

عن محمد بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال: خطب «نائلة بنت الفَرَافِصَة» قوم من قريش بعد موت «عثمان» فدعت بمرآة، فنظرت فيها، وكانت من أحسن الناس ثغراً، فأخذتِ فهْراً ـ حجراً ـ فدقت به أسنانها، فسال الدم على صدرها، فبكي جواريها، وقلن لها: ما صنعت بنفسك؟ قالت: إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب، وإني خفت أن يبلى حزني على «عثمان» فيطَّلع مني رجل على ما اطَّلع «عثمان» وذلك ما لا يكون أبداً، وهي التي قالت:

أبــى الله إلَّا أن تــكــونــي غــريــبــةً بــيــثــربَ لا تَــلْــقَــيْــن أُمًّــا ولا أَبَــا

عن أبي الزناد، عن أبيه: خرجت «نائلة» امرأة «عثمان» ليلة دفن «عثمان» ومعها السراج، وقد شقت جيبها وهي تصيح: واعثماناه! واأمير المؤمنيناه! فقال لها «جبير بن مطعم»: أطفئي السراج، فقد ترين من بالباب، فأطفأت السراج، وانتهوا إلى البقيع، فصلى عليه «جبير»، وخلفه «حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى» و«أبو جهم بن حذيفة» و«نيار بن مكرم» و«نائلة» و«أم البنين بنت عيينة بن حصن» امرأتاه، ونزل في حفرته «نيار» و«أبو جهم» و«جبير» وكان «حكيم» والامرأتان يُدَلُّونه على الرجال حتى قُبِرَ، وبني عليه، وغَمُّوا ـ ستروا ـ قبره وتفرَّقوا، وخرجت «نائلة» إلى الشام، فخطبها «معاوية» فنزعت ثَنِيَّتها ولم تجبه.

عن سفيان بن عيينة، عن طعمة بن عمرو، وكان رجلاً قد يبس وشحب من العبادة، فقيل له: ما شأنك؟ قال: إني كنتُ حلفتُ أن ألطم «عثمان» فلما قُتِلَ جئتُ فلطمتُه، فقالت لي امرأته: أَشَلَّ الله يمينك، وصلَّى وجهك النار، فقد شُلَّتَ يميني وأنا أخاف.

عن شداد الأعمى وعن بعض أشياخه من بني راسب، قال: كنت أطوف بالبيت، فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت، وهو يقول: اللهم! اغفر لي، وما أراك تفعل، قال: فقلت: أما تتقي الله؟ قال: إن لي شأناً، آليتُ وصاحبٌ لي لئن قُتِلَ «عثمان» لنلطمَنَّ حُرَّ وجهه، فدخلنا عليه، وإذا رأسه في حِجْر امرأته «ابنة الفَرَافِصَة»، فقال لها صاحبي: اكشفي عن وجهه، قالت: لِمَ؟ قال: ألطم حُرَّ وجهه، فقالت: أما ترضى ما قال فيه رسول الله ﷺ؟ قال فيه كذا، وقال فيه كذا.

قال: فاستحى صاحبي فرجع، فقلت لها: اكشفي عن وجهه، فقال: فذهبت تعدو عليَّ، فلطمتُ وجهه، فقالت: مالك؟ يَبَّسَ الله يدك، وأعمى بصرك، ولا غفر لك ذنبك، قال: فوالله! ما خرجت من الباب حتى يبست يدي، وعمي بصري، وما أرى الله يغفر لي ذنبي.

وعن محمد بن سيرين، قال: كنت أطوف بالكعبة فإذا رجل، وهو يقول: اللهم! اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، قلت: يا عبد الله! ما سمعت أحداً يقول ما تقول، قال: كنت أعطيت الله عهداً إن قدرت أن ألطم وجه «عثمان» إلَّا لطمته، فلما قُتِلَ وُضِعَ على سريره في البيت، والناس يجيئون فيصلون عليه، فدخلت كأني أصلي عليه، فوجدت خلوة، فرفعت الثوب عن وجهه، فلطمت وجهه وسَجَّيْتُه، وقد يبست يميني، قال ابن سيرين: فرأيتها يابسة كأنها عود[1]. وكان «عثمان» قد اشترى بئر رومة لسقيا المسلمين، فعطشوه وقتلوه، عليهم اللعنة من رب العالمين، ورحمه الله تعالى.

(١) أعلام النساء (٢٣٦ ـ ٢٣٩).